مفهوم التهميش الاجتماعي في المجتمع الجزائري: إشكاليات نظرية

سميرة قوندي
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع
جامعة باجي مختار–عنابة

ملخص

تواجه العلوم الاجتماعية والإنسانية العديد من المشكلات المنهجية، لعل من أهمها وضع تعريف محدد للمفاهيم المستخدمة. فعادة ما يصعب تقديم تعريف "شامل جامع مانع" لأية ظاهرة اجتماعية، وهو ما يفرض تحديا يواجه دارسي هذه المشكلة. غير أنه لا يمنعهم من البحث المنظم، ومحاولة الوصول إلى تعريف إجرائي أو تعريف محدد شرح الظاهرة موضوع الدراسة. تقوم الدراسة على التحليل الابستمولوجي لهذا المفهوم المركزي بهدف معرفة المقصود به وأسباب ظهوره وتطوره، والإشكاليات التي يثيرها، ثم أخيرا أثره على المستويين العلمي والعملي.

الكلمات المفاتيح: تهميش اجتماعي، مفاهيم، علاقات.

Le concept de marginalisation sociale dans la société Algérienne: problèmes théoriques

Résumé

Définir minutieusement les concepts en sciences humaines et sociales est l'une des problématiques méthodologiques les plus ardues qu'on affronte. Fournir une définition exhaustive à un phénomène social représente un défi pour les chercheurs. Ceci n'empêche pas les chercheurs de mener des études qui visent la rigueur et la création de définitions opérationnelles. Cette étude vise à mener une analyse épistémologique du concept de la marginalisation afin de comprendre sa véritable signification, les raisons de son apparition, son développement ainsi que les problématiques qu'elle est susceptible de causer et ses effets sur les niveaux scientifique et pratique.

Mots-clés: Marginalisation sociale, concepts, relations.

The concept of social marginalisation in Algerian society: theoretical issues

Abstract

Social marginalisation is one of the most controversial concepts used in sociology and neighbouring fields, it is conceptualized in various contexts and languages of political and social debates. It is mostly problematic to provide a precise definition to a given social phenomenon, which presents a challenge to researchers in this field. However, researchers are very accurate and attempt to create operational and meticulous definitions. This survey attempts to carry out an analysis of the concept of social marginalisation in order to understand its real meaning, reasons behind its development, problematics that it may give rise to as well as its impacts on scientific and practical levels.

Key words: Social marginalisation, concepts, relations.

تمهيد

يستند كل بحث أو دراسة مهما كانت طبيعتها واختلاف موضوعاتها وتنوع موضوع معرفتها على: بناء المفاهيم وبناء العلاقات. غير أن هناك سؤالين يجب طرحهما فيما يتعلق بموضوع التهميش الاجتماعي: ماهي مفاهيمه الأساسية والثانوية؟ وما هي العلاقات الأساسية التي تتضمنها هذه المفاهيم في الواقع الجزائري؟

أولا: ظهور المفهوم وتطوره:

هناك عدة شواهد عارية للتهميش الاجتماعي في المجتمعات السائرة في طريق النمو وحتى في البلاد الغنية، ففي الجزائر والعالم العربي مثلا لم ينل هذا المصطلح العناية الكافية به من قبل الدارسين والباحثين، وقد صار استخدامه شائعا جدا في أدبيات الإدارة العامة، والسياسات العامة، وبرنامج عمل الأحزاب والحكومات والذي اتخذته كل من الحكومتين الفرنسية والبريطانية تحديدا بعد تولي "طوني بلير Tony Blair" رئاسة الحكومة العمالية في بريطانيا سنة (1997) وأنشأ (وحدة الاستبعاد الاجتماعي)، كخلية وصل، تنشط بين مختلف الوزارات المعنية بما يعرف بـــ"سياسات تعزيز التماسك والاندماج الاجتماعيين" واعتبارهما هدفا استراتيجيا. وهذا يعني سوسيولوجيا وجود ضعف كبير في العلاقات الاجتماعية الموجبة.

بدأت مدرسة "لندن للاقتصاد L.S.E" تستكشف هذا المفهوم واستقطبت خيرة العلماء والمختصين بهذا الموضوع أو القريبة منه مستهدفة من وراء ذلك الوصول إلى فهم هذه الظاهرة الاجتماعية الثقافية. والمسعى ذاته حصل في فرنسا حيث استفاقت الحكومات الفرنسية، على وقع أحداث الشغب في الضواحي الباريسية Les Banlieues Parisiennes وهي بمثابة " قيهوطات" Gehetos لأحزمة الفقر والحرمان يعانيها شبابها من الجيلين الثالث والرابع من أبناء المهاجرين المغاربيين والأفارقة. فأقترح "روني لو نوار René Le Noir" مصطلح Marginalisation Voire L'Exclusion أسوة بما هو سائد في بريطانيا وكان ذلك في العشرية الأخيرة من القرن العشرين. وتشير الأدبيات المنشورة على شبكة الأنترنيت إلى عدد معتبر من الكتب والبحوث والمقالات التي تناولت أو تصدرت عناوينها هذا المفهوم... فعددها في ارتفاع مستمر كلما تم إنجاز جانب من جوانب هذا المفهوم أو تطبيقا ميدانيا له في بلد ما.

ويمكن القول أن المفهوم يأخذ بعدين متوازيين يعكس **أولهما**؛ الفكر الثوري اليساري **والثاني**؛ الفكر الليبرالي المحافظ ومسوغات كل واحد منهما في تبنيهما في الإدارة العامة والسياسات العامة، والحكومات والأنظمة الاجتماعية المقارنة، ويمكن للمرء أن يتصور التراث اليساري الفرنسي في تحقيق المساواة الاجتماعية مقابل تحقيق المساواة أمام القانون...نما مفهوم "Exclusion" في هذين البلدين الغنيين ومنهما إلى غيرهما من المجتمعات ليعكس قدرة الدولة على قيادة المجتمع وتنفيذ سياسات عامة تكفل العدالة الاجتماعية والمساواة بين مواطنيها في إطار سيادة القانون وبالتعاون الوثيق مع تنظيمات المجتمع المدني[1].

ظهر هذا المفهوم ليترافق مع سلسلة تغيرات حدثت في طبيعة ودور الدولة من جانب، والتطور المنهجي والأكاديمي من جانب آخر، **فعلى الجانب العملي** يلاحظ:

1- أن التنمية ليست شأنا وطنيا فحسب، بل صارت شأنا دوليا؛ أي ازدياد أهمية البيئة الدولية أو العامل الخارجي في عملية صنع السياسات. فالأمم المتحدة وهيآتها والتنظيمات الإقليمية تطرح على الدول المعنية بالتنمية قضايا سياساتها العامة وفرضها وجعلها على قائمة أولويات الحكومات التي تتطلع إلى التنمية في دول العالم النامي

وليس لها من القدرة على مقاومة التأثير في ظل عولمة متوحشة وعودة إمبراطورية متغولة وثورة اتصالات كونية غازية[2].

2- انحسار دور الدولة وتحولها من فاعل رئيس في صنع السياسات العامة ومنها الحفاظ على مستوى معين من المعيشة إلى مجرد شريك بين شركاء كُثُر في إدارة شؤون الدولة والمجتمع تحت وطأة التضخم وفشل معظم مشاريع التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. أي أصبح للفاعلين الاجتماعيين (القطاع الخاص ومؤسسات المجتمع المدني) دور أكبر في التأثير على السياسات العامة والإدارة على نحو لم يكن متصورا من قبل.

وعلى الجانب الأكاديمي (النظري) ذهب الباحثون والدارسون بطريقين مختلفين إلا أنهم يقرون بأن العالم قد تغير وعلم الاجتماع يجب عليه كذلك أن يواكب هذا التغير أيضا فتجنبوا الخوض في مفهوم L'Exclusion باعتباره موضوعا خِلافِيًا وبدلا من ذلك ركزوا على مشكلات اجتماعية من قبيل التشرد، وحمل القاصرات والبطالة والهجرة الداخلية وغيرها من الموضوعات ذات الصلة بمفهوم الاستبعاد الاجتماعي وتبدو ظواهر عارية للعيان. هذا رهط من المهتمين بالمشكلات الاجتماعية والذين يرون وجوب إصلاح الخلل الاجتماعي. وفي حين آخر، انبرى فريق من الدارسين على تصور عملية اجتماعية غاية في الأهمية وهي مفهوم "المشاركة في الجوانب الرئيسية للحياة الاجتماعية" وقد حددوا عدة مؤشرات تكون لها قابلية التكميم مثل دخل الأسرة ومعدل البطالة والتعليم... وتقوم هذه المقاربات وفقا للأساليب الموروثة في قياس ظاهرتي الفقر والحرمان بشكل عام[3].

باختصار؛ بعدما أُنْجِزت أبحاث ميدانية في أوروبا وأمريكا الشمالية صار من الممكن أيضا للعالم العربي هو الآخر أن يشهد أنواع الاستبعاد واللامشاركة في الحياة الأساسية لسكانه عبر دراسات ميدانية، لذلك نجد بعض الدراسات بدأت ترى النور في هذا الجزء من العالم وتحول الباحثون والكُتاب إلى ثقافة سوسيولوجية تحضن الإطار الفكري المعرفي الجديد الذي يتلاءم مع مرحلة ما يسمى بالربيع العربي.

ثانيا: إشكاليات المفهوم وخصائصه:

مشكلة الترجمة: ليس صحيحا أن يكون لكل مفهوم أجنبي ترجمة حرفية باللغة العربية وتعكس معناه ومقاصده التي تعكسها اللغة الأصلية، ولا يَشُذُّ مفهوم "التهميش" عن ذلك.

"تشتق كلمة "التهميش" من الفعل العربي "همَش" الشيء: جمعه، ويقال همَّش فلان: عضه، والمهمَّش إسم المفعول يدل على من وقع عليه فعل التهميش. وهمَّش الكتاب: وضع له الهوامش، أي وضع له حاشية يذلل بها سردا للمراجع أو لشروح معينة مرتبطة بما ورد في المتن ولكنها أقل أهمية...وتهمَّش الشيء: تآكل وتفكك وهو ما يحدث في حالة البثور والخراج ومنه أيضا "الهميشة" الجراد إذا طُبخ... ويقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا، رأيتهم يهتمشون ولهم "هَمْشَةٌ". ويقال إن البراغيث لتهمش تحت جنبي فتؤذيني باهتماشها[4]".

أما في اللغة الفرنسية والإنجليزية "Marginalisation" تشتق من الفعل "Marginaliser" والذي يعني حمل فرد/ جماعة أو بلد أو إقليم أو قارة أو طبقة أو شريحة أو فئة اجتماعية (النساء، الشباب، العاطلون عن العمل، كبار السن، المرضى، المنحرفون...) لكي يكونوا خارج الاهتمامات العامة، والإذعان للسلطات دون استفهام. وفي مثل هذه الحالات فإن التهميش يقصد به:" أولئك الأفراد أو الجماعات الذين يعيشون في فضاءات معينة وفي ظل ظروف تاريخية محددة غير القادرين عن التكيف مع البيئة الثقافية–الاجتماعية والبيئة الطبيعية على، حد سواء، ويدخلون ضمن خانة "الهامشية الاجتماعية Marginalisation Sociale لأنهم مقصوون عمدا من معظم النواحي

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الحيزية Espace أو ما يطلق عليه تحديدا بالأطرافPériphérie. وبذلك يشكلون كماً بشريا مهملا في منطقة ما.

خصائص مفهوم "التهميش الاجتماعي":

التهميش الاجتماعي مفهوم خلافي بين مختلف الباحثين والسياسيين، يختلفون في فهمه، ولكنهم يشتركون من زوايا مختلفة في توضيح شتى أبعاده، مثل:

1- صار هذا المفهوم شبه طاغ على المناقشات المعاصرة حول مشكلات المجتمع الانساني عموما والجزائري على وجه التحديد. وتتعدد معانيه، فهو بالنسبة للبعض حالة ظرفية سرعان ما تزول بنجاح البرامج التنموية، وبالنسبة للبعض الآخر مقدمة أساسية لا مناص منها للمجتمعات من مراكمتها وبذل محاولات جادة لمحاصرتها، في حين يرى البعض الآخر بأنها عملية اجتماعية مخططة تَنِمُّ عن علاقة قهر وإكراه وقمع وكبت واحباط وحرمان ومعاناة...

2- هناك مفارقة واضحة في هذا المفهوم "التهميش الاجتماعي" تتمثل في أن الحضارة الغربية التي أفرزت ممارساتها "الاضطهادية" إزاء شرائح وطبقات اجتماعية من صلب مجتمعاتها لم تتوان أيضا في تجسيده ميدانيا على غير شعوبها... فالعرق الأبيض الأوروبي هو المميز في الوجود[5]. وهي فكرة توراتية "شعب الله المختار" ولكن هذه الحضارة اليهودية–المسيحية استعادت بعض الوعي بعد أن تفاقمت أزمة الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية نتيجة للصراعات ولآثارها المدمرة، بل صار للاستبعاد الاجتماعي وجودا في دائرة الحوار السياسي والثقافي والاجتماعي والذي نجم عن التطورات التاريخية التي أعقبت انهيار النازية والفاشية والنظام الكولونيالي وتفكك المنظومة الاشتراكية الأوروبية[6].

3- توحي فكرة التهميش الاجتماعي بوجود انتهاك صارخ للبعد الإنساني والنيل من حقوق المواطنة عند النظر في وجه الآخرين (المهاجرون، الأجانب، الملونون، المشاغبون...) وهم لا يختلفون في إنسانيتهم سوى اختلاف ظروفهم التاريخية والمكانية الحرجة التي جعلتهم في خانة "المغضوب عليهم" والاعتراف بهم وفتح المجال واسعا لاندماجهم Inclusion وضمهم إلى حضن الوطن والمجتمع، وهو مسعى يتجه ويتحرى الحقيقة والبحث عنها.

4- التهميش الاجتماعي ليس صفة مميزة للذم، فكم من أفراد أو جماعات أو تنظيمات أو حتى مجتمعات محلية أو وطنية اندمجت بقوة في الحياة العامة للناس وصارت شريكا مهما في المنتظم الدولي وتؤثر فيه... فـ"بن بلة" مثلا كان إرهابيا في نظر الفرنسيين الكالونياليين صار بعد عدة سنوات رئيس أول جمهورية جزائرية ديمقراطية شعبية، والصين الفقيرة المأهولة والغير معترف بها دوليا صارت ثاني قوة اقتصادية عظمى في العالم وعضوا دائم العضوية في مجلس الأمن الدولي... فالتهميش الاجتماعي تتجاذبه قيمتان الحرية والحقيقة وتحركه الإرادة الإنسانية في التغيير...

5- وإذا كان التهميش في المقام الأول هو "نفي" للآخر، للمنافس، للمتمرد...، فإن الحرية نفسها تمثل مشكلة، فمن الصعب تحديد نقطتي بداية ونهاية لها في ظل وجود "الوعي" أو حتى غيابه، كما أن التهميش الاجتماعي يولد التعصب والثأر والذي هو وليد "التخلل الاجتماعي "Social Fermentation".

6- يشير مفهوم التهميش الاجتماعي إلى تلك العلاقة الموجودة ولو كانت كامنة بين شخصين أو أكثر داخل الأسرة مثلا أو الأصدقاء أو الجيران أو حي سكني في مدينة ما... وبين الأعضاء في مجتمع محلي وطني أو

دولي أو فضلا عما تتنوع الأسباب في حدوثه، كما يثير هذا المصطلح تساؤلا أو تساؤلات عما إذا كان الطرف المهمَّش "والمستبعد/المهمّش" يتضمن أفرادا أو جماعات أو منطقة أو مجتمعا أو ثقافة ما. وكذلك التساؤل عما إذا كان هذا الاستبعاد/التهميش مخططا له أو شبه مخطط بناء على ما تعلق منها بسمات شخصية أو ممارسات أو أفعال معينة أو حتى معتقدات أو حقول ثقافية...

7- ومن الضروري فهم مصطلح التهميش/الاستبعاد الاجتماعي في ضوء الحكم على المعتقدات أو الممارسات لجهات معينة وما هي ردود الأفعال (السلوك) من الطرف المهمَّش المستبعد، وعند هذا الحد فمن اليسير علينا الحكم عليها بأنها خاطئة/ سيئة من هذا الطرف أو ذاك، وقد يعبر الأفراد عن ذلك بالاختلاف أو بالمعارضة أو حتى التمرد والعصيان. ولكن ذلك يلزم أن يكون الاعتراض دافعيا وله تبريرات منطقية.

8- غالبا ما يؤدي مصطلح الاعتراض إلى مشكلة صعبة، فإذا لم يكن هناك تبرير منطقي لهذا الاعتراض، فإنه يعتمد إذن على الوثوقية Dogma[7]؛ فعلى سبيل المثال، إذا كان هناك بعض الأفراد/ المجتمعات المحلية الهامشية يحتلون مرتبة أقل في التراتبية الاجتماعية، ويكون هناك احتمال للتعارض فيما بينهم والسلطات المديرة لشأنهم، في هذه الحالة يمكنها البحث فيما إذا كانت السلطات متفهمة/ متعاونة أم لا؟ ويمكن أن يكون ذلك خطوة أولى نحو الانخفاض التدريجي في درجة سقف مطالب هؤلاء الأفراد أو الجماعات/ مجتمعاتهم. وعلى العكس من ذلك، فإن هذا الشكل من المعاملة قد يتطور ليتخذ طابعا قمعيا كاستدعاء رجال الدرك أو الشرطة... وهو ما يؤدي أكثر إلى التمييز بين الجزائريين (جزائريون كاملو حقوق المواطنة/ جزائريون لكنهم منقوصو حقوق المواطنة).

9- إن التهميش/ الاستبعاد الاجتماعي مشكلة مركبة ومعقدة ولكنه بالوقت ذاته يطرح مشكلات جزئية عديدة تتعلق بمضمونه وتاريخه وعلاقاته البيئية والسياسية والفلسفية، وحدوده ومجالاته وقيمته... إنه مفهوم أخلاقي في أساسه وديني وفلسفي وسياسي وحقوقي وبيئي وله مضامين عديدة ومستويات مختلفة تتمثل أساسا في التكوين الطبقي وسوء توزيع الثروة والقوة في المجتمع.ومع التطور التاريخي لهذا المصطلح فهو قيمة "أخلاقية" إذ لا يمكن فهمه إلا كنقيض للاندماج الاجتماعي الداخلي، وقيمة فلسفية إقصائية صقلتها تجارب الاضطهاد الاستعماري وبراغماتية الرأسمالية الاستغلالية، وقيمة سياسية لا يمكن فهمها بعيدا عن مفهوم العدالة الاجتماعية والحكم الرشيد فضلا عن ذلك وجود أنظمة سياسية تقبل بالحجة والاختلاف، وقيمة حقوقية تدعو لعدم التمييز الاجتماعي وتحدد الواجبات والحقوق في إطار المواطنة الحقة.

10- يجب التمييز هنا بين التهميش الاجتماعي باعتباره " تركة" من مخلفات الاستعمار وسوء إدارة التنمية في ظل الدولة الوطنية وتلك هي ممارسات صارت من أنباء التاريخ المعاصر للمجتمع الجزائري. ولكن ما هو السيء والخطير في هذا الجانب اعتباره اتجاها. فالدولة الجزائرية مثلا عليها أن تكفل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية لمواطنيها ولا أن تمارس التضييق على حرياتهم بل تسعى دوما إلى احتضان أو إدماج الغالبية العظمى منهم وتَمثُّلهم.

باختصار؛ يفيد التهميش الاجتماعي كاتجاه قد تمت ترجمته في كثير من دول العالم والتجارب السوفياتية تهجير جماعي/في إبعاد شعوب بأكملها إلى مواطن غير مواطنها الأصلية لوضع حد لمعارضتهم لسلطاتها...

وهذا سلوك عقلاني وسياسي واجتماعي وثقافي بغض، النظر، عن عواطف المرء ومزاجه الشخصي، وبالتالي تتم ممارسته على أساس (التفضيل) مراعاة للمصلحة العليا للبلد وليس الحق.

ثالثا: التهميش الاجتماعي اصطلاحا:

يطلق مصطلح "التهميش الاجتماعي" للتدليل على الحرمان والتسلط على من يقع عليهم من الناس وبيئاتهم والمقصود به الإيقاع وإيذاء فئة أو شريحة أو مجتمع محلي أو إقليم معين داخل البلد أو خارج البلد، بفعل ما تفرضه القوانين الداخلية والخارجية أو تضافرهما معا عبر عقوبات اقتصادية ودبلوماسية. ولكن قد تتظافر بعض العوامل الداخلية كأن تكون منطقة ما متخلفة اقتصاديا عن باقي المناطق في الوطن أو أن تتعرض تركيبتها السكانية إلى نوع من الاضطهاد العرقي أو الديني وهنا يمكن لظاهرة التهميش أن تكون معيوشة. لذلك فالتهميش يحدث عبر الآتي:

1- الاستعمار الخارجي المباشر أو الوقوع تحت الحماية لدولة أخرى أجنبية لتُسَير المجتمع بمعرفتها.

2- غالبا ما تفرز مركزية الحكم وتفضي إلى ما يسمى بالاستعمار الداخلي حيث تتمتع جماعة ما أو إقليم أو طائفة وتستولي على السلطة والثروة في المجتمع على حساب باقي الأقاليم والمناطق وقاطنيها، أو عن طريق التعاون الوثيق ما بين الدول الاستعمارية واحتكاراتها وبتأييد لها مع فئات تابعة لها داخل الوطن لتغلب مصالح طبقة معينة ولمصالح الدول الاستعمارية على حساب المناطق في البلد ومجتمعه.

فالتهميش إذن يتمثل في وضع الأشخاص أو الجماعات من المجتمع على هامش الأحداث وخارج سياق تاريخ المجتمع وبعيدا عن وتيرة الحراك الاجتماعي، فالشخص الذي يجد نفسه في حالة إقصاء وتمييز وعزل واستبعاد من المشاركة؛ فهو في وضع مختلف عن الوضع الاجتماعي العام أي بمعنى لا ينعم بما يستفيد به الآخرون في المجتمع الذي هو فيه لكنه ليس جزءا منه.

وقد عرف مصطلح التهميش ما جاء على لسان حامد البشير إبراهيم[8]: "التهميش يعني عدم قدرة المجتمع على تفعيل كل أفراده بالدرجة التي يحققون فيها ذواتهم ويفعلون فيها مقدراتهم وقدراتهم ومواهبهم وطاقاتهم. وبالتالي فإن التهميش لا يعني ولا ينبغي أن ينحصر في النواحي الاقتصادية الضيقة بل ذو دلالات ثقافية واجتماعية وسياسية وحضارية ورمزية أيضاً (Symbolic) حيث أن التهميش في هذا المضمار يعني غياب الاعتبار Lack of Recognition وغياب المعنى lack of Meaning وغياب القيمة (Valueless) لجماعة ما".

وبالعامية الجزائرية يختصر قوله في كلمة واحدة كثيرة التداول في المجتمع الجزائري وهي "الحُقرة"[9]. وموضوعات التهميش الاجتماعي بأشكالها المختلفة جسدتها بحوث الأنثروبولوجيا السياسية وكذلك دراسات علم الاجتماع التنموي. "فقد مال الأنثروبولوجيون على وجه الخصوص إلى دراسة الجماعات الهامشية وكان هذا الاهتمام يرجع في جانب منه إلى الفكرة القائلة بأن يدلنا على معرفة صورة ذلك المجتمع عن نفسه وصورته في أعين المجتمعات الأخرى، وما هي العناصر التي تشكل قيمه الثقافية الأساسية[10]".

ومعنى ذاك أن التهميش يعتبر مرآة عاكسة لحقيقة المجتمع كما أنه صورة من صور عدم الاعتراف بالحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية المتمثلة في (الحق في التعليم، الصحة، الإسكان، والمشاركة...)

"أما في حالة توافر هذا الاعتراف، فيعتبر الاستبعاد الاجتماعي صورة من صور العجز عن الوصول إلى المنظومات السياسية والقانونية اللازمة بجعل هذه الحقوق واقعا حيا[11]".

ويرى حبيب العايب[12]: "أن هناك أربعة حدود فاصلة بين "المُهمَّش" وغير "المُهمَّش": **الحد الأول**؛ حدّ فاصل جغرافيّ مكانيّ. **الحد الثاني**؛ حدّ فاصل آخر يُعرّف معيارياً، إذا قررّ المجتمع معايير معيّنة، فإنّ كلّ من لا يطبّقها يوصمون بالعار Stigmatisation بأنّ ممارساتهم غير عادية (مثلاً: الذين لا يتحدثون العربية ولا يدينون بالإسلام في الحالة السودانية). **الحدّ الثالث**؛ ويرتبط بالأصل، الأصل الفضائي أو القبلي أو الدّيني أو الإثني... والمثال الأكثر شُهرة هو حالة "المنبوذين" في الهند.هذه الهامشيّة لا تتعلّق في حد ذاتها بالفقر أو الغنى، لكنّها قد تكون منتجة لفقر جماعيّ. **الحد الفاصل الرّابع**؛ هو التهميش على أساس اجتماعي–اقتصادي. وهذا الحد مرتبط مباشرة بوصول أو عدم وصول الأفراد أو المجموعات إلى الموارد الاقتصاديّة، وهنا تظهر فئات العاطلين عن العمل، وكلّ من لا يصلون إلى الموارد (التّعليم / الصحة /السكن، والأرض للفلاحين / ومياه الشّرب... إلخ) وهذه هي الفئة الهامشيّة الوحيدة التي يمكن إخضاعها إلى مقولة الكمّ، وقياسها، مع هامش خطأ محدود نسبيّا[13]".

رابعا: بعض المفاهيم ذات الصلة بالتهميش الاجتماعي:

يعتقد معظم علماء الاجتماع في الغرب أن مصطلح "التهميش الاجتماعي" منتج مفاهيمي ابتدعته التصورية اليسارية ويستعيضون عنه بتبني مصطلح لغوي مشترك في معظم اللغات الأوروبية هوL'Exclusion والذي له عدة مرادفات في اللغة العربية كالاستبعاد والإقصاء فما المقصود بذلك؟

1- مفهوم الاستبعاد: لغة "مشتق من الفعل العربي "بَعُدَ" وهو عكس قَرُبَ ويعني أيضا هلك ومات، ويقال أيضا أُبْعِد وأَبْعده وبعَّده وبَاعَدَه ضد قرَّبه، وتباعد: أبعد أحدهم الآخر، ويقال رجل مبعد بعيد الأسفار. واسم الفاعل "مستبعد" يعني مقصى[14]".

أول ما بدأ مصطلح الاستبعاد الاجتماعي Exclusion sociale كان في بريطانيا في ظل مناخ سياسي رفض فيه السياسيون من حزب المحافظين وجود الفقر، ومن ثم تبنى مصطلحات خاصة بالاستبعاد الاجتماعي من ذلك الفقر والحرمان والتهميش ومناقشتها لمسيرة السياسات الاجتماعية. "وقـد عـرف "فيـبر Weber" الاستبعاد بوصفه أحد أشكال الانغلاق الاجتماعي، فقد كان يرى أن الانغلاق الاستبعادي بمنزلة المحاولة التي تقوم بها جماعة لتؤمن لنفسها مركزا متميزا على حساب جماعة أخرى من خلال عملية إخضاعها[15]".

"وفي اللغات الفرنسية والانكليزية Exclusion مشتق من الفعل Exclure للجذر اللاتيني Excluder والتي تعني وتفيد معاني الطرد Chasser، Renvoyer منع الإقامة في مكان أو الحظر Bannir والتورط Evincer والوصم ôter والرفض Rejeter. فالإقصاء والمنع والإبعاد والرفضRefuser والعدول Repairer فضلا عن ذلك فهو يعني عدم القبول وعدم التوظيف وعدم المشاركة. ويفيد أيضا السجن Enfermer Insérer أو الحشر ومنه المصدر Exclusion والذي يعني الاستبعاد والإقصاء. ونقيضه في اللغة الفرنسية هو"Inclusion" والمشتق من الجذر اللاتيني "Inclusien" والتي تعني إيجاد علاقة بين عنصرين مختلفين أو إيجاد علاقة بين مجموعتين بحيث أن الأولى تكون جزءا لا يتجزأ من الثانية[16]".

"فمصطلحا " Exclusion وInclusion" مصطلحان ذا ضلال سياسية كثيرا ما تكون محل شبهة أو وصمة عار، وهو ما يتم الحديث عنه في المجالس العامة أو الخاصة وفي لغات السياسة والصحافة والكواليس. ويكثر استخدام مصطلح الاستبعاد الاجتماعي "Exclusion Sociale" في الأدبيات السياسية– الاجتماعية والتنموية والأنثروبولوجية ومن منظور المدرسة الوظيفية وتياراتها المختلفة، لكي يكون أسلوبا حديثا شائعا للكلام عن الفقر

والفقراء وحتى الأغنياء في العالم الغربي[17]. "وتتسع العربية لتشمل مفاهيم لها المقاصد ذاتها ومنها الإقصاء فماذا نعني به؟

2- مفهوم الإقصاء:

"مشتق من فعل قَصَا، يَقْصُو، قُصُوًا، وقَصَا وقَصًا وقَصْيٌ، يَقْصِي، ويقال قَصَا المكان: بعد، قصا الرجل عن القوم: تباعد، والمُقصَى اسم مفعول يطلق على من وقع إقصاؤه أو استبعاده من نشاط أو عمل أو جماعة أو مجتمع أو من تاريخ أو فضاء أو حق طبيعي...[18]".

وهو يفيد أيضا الحرمان لا من العضوية ولا من النشاط فحسب، بل يتعداه إلى أن يحرمه منها جزئيا أو كليا، فالطالب مثلا محروم من امتحان في مادة ما إذا تغيب عن حضورها أكثر من (6) غيابات دون مبرر في مادة أساسية ذاك ما يجعله مقصيا ويترتب عنه إعادة السنة كجزاء له حسب القوانين الجامعية الجزائرية.

وتُقْصَى فئات اجتماعية وخاصة تلك المستضعفة (المرأة، الشباب، البطال، العجزة...) من الدورة الاقتصادية لأنهم حديثو السن أو شابوا ولا يتوافرون على تجارب أو أنهم يضخمون سوق العمل أو أنهم يتبنون أيديولوجيات ويتخذون مواقف مناوئة لذوي القوة من السلطان. فهو نوع من الاستبعاد المادي والمعنوي لنظرائنا من الناس لسبب أو لآخر. وهو ما يسري كذلك أن يستبعد أنظمة سياسية مناوئة عبر الحصار الاقتصادي الدبلوماسي وغيرهما، وبذلك يُلْجَأُ إلى الاضطهاد وربما التصفيات الجسدية لهم ولقيادتهم، فقد حدث في الثورة الاشتراكية أن تم القضاء على الطبقة البرجوازية في المجتمع الروسي ومحاربتها، كما أنه تم إقصاء كل ذوي توجه شيوعي في البلدان الرأسمالية من السلطة والتعليم وغيرهما.

3- الحرمان: Déprivation

كتب "جوردون مارشال Marshall,J" عن الحرمان بأنه:" يمثل حالة التجريد من الشيء[19]"؛ أي بمعنى أن الشخص المحروم من شيء هو المجرد منه، على سبيل المثال المجرد من حقوقه الاجتماعية كالتعليم، الصحة، التغذية... وعليه؛ فكلمة "الحرمان" مشتقة من الفعل "حرم" بمعنى "جرَّد" و" استلب" و"فقر"؛ فنقول حرم فلان من العيش الكريم بمعنى أنه فقد حقه في العيش الكريم. فالشخص يشعر بالحرمان عندما يقارن نفسه بنظرائه الذين يتميزون عنه بأنهم يتشبعون حد، الذروة، بتلك الاحتياجات الأساسية الذي هو فاقد لها، والملاحظ هنا أن الحرمان أوسع نطاقا من الفقر.

4- الفقر: Pauvreté

"زخرت الكتابات التنموية في ستينيات وسبعينيات القرن المنصرم بموضوع الفقر والفقراء حتى أن أحدهم كتب كتابا ضخما موسوما عنوانه: لماذا يبقى الفقير فقيرا؟ وأيا ما كان محتواه، فإنه يبحث في التفاوت الطبقي في المجتمع. والشائع أيضا في الدراسات والبحوث الاجتماعية في البلدان الإسكندنافية (السويد، الدنمارك، والنرويج) أنها تنعت المستبعدين الاجتماعيين فيها بـ "أفقر الفقراء" The Poorest of Poor فما المقصود بذلك؟[20].

وقد تعدّدت تعاريف الفقر نظرا لاختلاف وتنوع وجهات النظر نحو دراسة هذه الظاهرة، حيث أن علماء الاقتصاد يعتمدون معايير كمية وعلماء الاجتماع يرتكزون أكثر على الأبعاد الاجتماعية. وتبقى كلمة الفقر كلمة نسبية بالمقارنة مع احتياجات الفرد النسبية هي الأخرى. يعرّف الفقر بأنه: "حالة الحرمان المادي تنعكس سماته بانخفاض الاحتياجات الأساسية من الغذاء وما يرتبط به من تدنّ الحالة الصحية والتعليمية وتدني المتطلبات

السكنية عن مستواها الملائم[21]." حالة افتقاد الفرد إلى الحد الأدنى من الرفاهية، أي إلى الاحتياجات الأساسية التي تمكنه من البقاء على قيد الحياة، فالإنسان الفقير هو الذي لا يمتلك القدرة الكافية، حيث أن مورده يعد أقل من تلك الموجودة عند الإنسان العادي، فيكون على أساس ذلك مستبعدا من أنشطة الحياة الاعتيادية وأنماطها. "لقد قدر في عام (2003) عدد السكان في العالم بـ(6) مليارات نسمة، منهم (2.8) مليار نسمة لا يتقاضون أكثر من دولارين في اليوم الواحد وثمة (1.2) مليار لا يتقاضون أكثر من دولار واحد في اليوم"[22].

"ولمحاربة الفقر ومحاولة إيجاد حل لاجتثاثه، دعت الأمم المتحدة لعقد مؤتمرات دولية، واعتبرت القضاء على الفقر أحد أهداف التنمية في التسعينيات، وقد أصدرت الجمعية العامة قرارا سنة (1995) حول الاحتفال بالسنة الدولية للقضاء على الفقر عام (1996) وعزمت على القضاء عليه في الفترة الممتدة بين (1997 حتى 2006). يتم ذلك من خلال تعزيز سياسات واستراتيجيات وطنية واتخاذ إجراءات حاسمة والتعاون الدولي في تنفيذ جميع الالتزامات الصادرة عن المؤتمرات الرئيسية المنظمة من طرف الأمم المتحدة منذ عام (1990)"[23].

وهذه السياسات تستهدف الإدماج الاجتماعي والاقتصادي للفقراء بغية تمكينهم من الإسهام في وضع السياسات التي تتعلق بهم، فقد أخذ البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة منذ سنة (1990) بإصدار تقارير سنوية عن التنمية البشرية تعالج في كل عام موضوعا من المواضيع الاجتماعية، ففي سنة (1997) مثلا تناولت موضوع الفقر من منظور التنمية البشرية جاء فيه: "إذا كانت التنمية البشرية هي أمر يتعلق بتوسيع نطاق الخيارات، فان الفقر يعني انعدام الفرص والخيارات ذات الأهمية الأساسية للتنمية البشرية وهي العيش حياة طويلة في صحة وإبداع والتمتع بمستوى لائق وبالحرية والكرامة واحترام الذات وكذلك احترام الآخرين"[24].

فالأمم المتحدة حاولت تبني رؤية واضحة عن موضوع الفقر واعتبرته استبعادا اجتماعيا وانتهاكا لكرامة الشخص وانتهت إلى تحديد دليل الفقر البشري HPI[25] للدول النامية التي تعيش الحرمان البشري من ثلاث مؤشرات أساسية:

– الحرمان من طول العمر والذي يقاس بتوقع أمل الحياة.

– الحرمان من المعرفة ويقاس بنسبة الأميين البالغين.

– الحرمان من مستوى المعيشة اللائق ويقاس بنسبة الذين لا يتمتعون بإمكانات مستدامة للحصول على مياه مأمونة وخدمات صحية للأطفال دون سن الخامسة الذين يشتكون من نقص الوزن.

يمكننا اعتبار هذه النظرة الجديدة لقياس الفقر بمثابة **تعريف إجرائي** يتضمن عدة مؤشرات مما يسهل أمرين: إمكانية قياس مؤشر الفقر HPI، ومن ثم المقارنة بين الدول ووضع سلم لكل دول العالم.

5- العزلة الاجتماعية:Isolation sociale

يستخدم هذا المصطلح في الأدبيات السوسيولوجية للتعبير عن غياب التماسك الاجتماعي. كما " تشير العزلة الاجتماعية إلى الغياب التام أو شبه التام للتواصل مع المجتمع، وذلك بين الكائنات الاجتماعية... وقد تؤدي جميع أنواع العزلة الاجتماعية إلى البقاء في المنزل عدة أيام أو أسابيع؛ وعدم التواصل مع أي أحد بما فيهم الأسرة أو حتى أقرب المحيطين من المعارف والأصدقاء؛ وتجنب أي تواصل مع البشر الآخرين عن عمد عندما تسنح الفرصة لذلك[26]." أي أنه بالإمكان عزل جماعات عن بقية حياة المجتمع كما يعزل الأفراد. يكون الفرد المنعزل منفصلا إراديا عن المجتمع، وتستعمل للتعبير أيضا عن غياب التماسك الاجتماعي (سلخ فرد أو جماعة

عن المجتمع، بحيث تكون هذه العزلة طوعية أو قهرية) وتشتمل العزلة الاجتماعية عن الاستبعاد الاجتماعي ولكنها لا تقتصر عليه وحده، فمثلا؛ قد يشكل ضعف الدخل مانعا للمشاركة في الحياة العامة كما أن الدخل المرتفع قد يجعل من أصحابه سببا في عزل أنفسهم بأن يلبوا حاجاتهم بعيدا عن عامة الناس (لثرائهم) ومن ثم فهذا شكل من أشكال العزلة الاجتماعية وهذا شكل آخر من الاستبعاد الاجتماعي... وهو حال "الغيتو Ghetto" الذي فرض على اليهود في مدن العصور الوسطى وحتى الحديثة وتشير إلى عيش أقلية إثنية أو طائفة دينية أو اجتماعية على حيز عمراني.

وعلى المستوى الماكرو–سوسيولوجي تـــوجـد:

1- الفئات الهامشية: هي فئات خارج الدورة الاقتصادية في أي مجتمع من المجتمعات، فهي توصف بعدم الاندماج في أي نظام معين وتتفاوت الهامشية من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى. تبدو ظاهرة الهامشية أنها تتجاوز الجوانب الاقتصادية والحيّزية Espace والتاريخية، بل هي ظاهرة إنسانية خالصة تحتاج إلى عدة تخصصات لسبر غورها.

فالهامشية إذن ظاهرة اجتماعية وبالوقت ذاته مشكلة اجتماعية مركبة ومعقدة تشمل فئات عديدة من المجتمع الجزائري، كالمرأة والشباب والمرضى والسجناء وذوي المؤهلات المنخفضة وحتى العالية وغيرهم... يمكننا أخذ نموذجين كانا سببا في إيجاد فئات هامشية:

أ– النظام الأسري يتحمل مسؤوليته بخلق ذلك عندما يستقيل الآباء عن حماية وتربية أبنائهم وتحصينهم ضد التهميش وخاصة عندما تستقيل العائلات أو الأسر ذات الحجم الكبير من الأطفال والتي تفشل في استيفاء حاجاتها وترك الأطفال عرضة لجشع المجتمع ووحشيته.

ب– عندما تفشل المنظومة التربوية المدرسية والجامعية في توفير مواطن للعمل في المؤسسات والأسواق والإدارات ومراكز البحث. وعندما تعجز المؤسسات الخدماتية على توفير مواطن الشغل للممتهنين والكوادر، وتطغى عليها عقليات الفساد والمحسوبية والجهوية والعشائرية.

باختصار؛ فالفرد "المُهَمَّش اجتماعيا" هو: (من يولد ويشب ويموت في حضارة مُنغِّصة: بيئته الأسرية أو المحلية أو الإقليمية أو الوطنية أو الدولية لا تُيَسر له الحصول على تعليم أو تدريب نوعي أو رعاية صحية جيدة أو رعاية اجتماعية مرضية. ويستثنى من الدورة الاقتصادية لصغر سنه أو تقدمه فيه ولا يشارك في العملية السياسية وتفاعلاته الاجتماعية فاترة ولكنها موغلة في السلبية وقضاء معظم حياته يواجه حالة من عدم اليقين).

2- الثقافة الهامشية: هي الثقافة المتاخمة لثقافة أخرى وتتصف عامة بأنها أفقر منها في الموارد التقنية والثقافة العامة أو بعبارة أخرى هي الثقافة التي تقع على تخوم حضارية متقدمة.

وقد تعددت المفاهيم والمشتقات بحيث أنه يتبادر إلى أذهاننا: ما معنى الهامشية وما تأثيرها على الثقافات؟ يمكن الإجابة على ذلك في جملة واضحة وبسيطة كون الثقافة الهامشية هي تلك الثقافة التي عانت التهميش في ظل التحولات الراهنة استنادا إلى الورقة التي قدمتها "سلام محادين"[27]: "إن الثقافات الهامشية قد احتلت مساحة كبيرة في الأطر النظرية لما بعد الحداثة بأثر من مطالبة هذه الثقافات بإسماع صوتها بعد ما تعتبره قُرونا من التهميش والاستثناء والتعتيم الذي أفرزه فكر التنوير في الثقافة الغربية".

3-المركز والهامش:

"اشتقت كلمة مركز من الفعل "رَكَزَ، الرَكَز وهو غرزك شيئا منتصبا بالرمح ونحوه، والمراكز هي منابت الأسنان، ومركز الجند هو الموضع الذي أمروا أن يلزموه وأمروا أن لا يبرحوه، ومركز الرجل هو موضعه، يقال أحل فلان بمركزه، ومركز الدائرة هو وسطها[28]." فمثلا يمثل العالم الدائرة التي لا تخلو من مركز ولا من محيط، حيث أن الهوامش تمثل الدول الفقيرة والضعيفة في حين يمثل المركز تلك الدول المسيطرة. وقد استخدم مصطلح المركز في بداية القرن(19) "كمصطلح يستخدمه علماء الاجتماع بمفهوم اجتماعي وجغرافي للدلالة على العلاقة القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطية[29] ".

" أما كلمة "هامش" فلها دلالات كثيرة: "هَمَشَ والهَمْشَة الكلام والحركة، وامرأة هَمْشَ الحديث بالتحريك، تكثر الكلام وتجلب[30]." فالهامش يمثل الحاشية أو الجوانب والأطراف فمثلا نقول فلان عاش على الهامش بمعنى عاش بمعزل عن المجتمع، وربما لا يسمع به أحد حتى يموت لكونه مستبعدا عن الحياة الاجتماعية. فكلمة "هامش" تحمل في طياتها جوانب كثيرة من الحياة بما فيها الجانب السياسي وهو الأهم. يمكن أن تجمع في هذه الكلمات "فالهامشية بين المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، وبين المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين الأمي والمهاجر من الناحية الثقافية، وبين الفقير جدا والعاطل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية[31].

فالعلاقة بين المركز والهامش هي علاقة الدائرة بمحيطها حيث أن وجود المركز يستلزم وجود الهامش. حسب عادل ابراهيم شاكولا[32] "... فمقابل الهامش هناك المركز، ففكرة الهامش بلا "مركز" لا معنى لها؛ أي أنّ المُهمَّش لا يمكن أن يكون مهمّشاً في حدّ ذاته، بل بالنسبة إلى حالة أو وضع مركزي، ويُضيف: يمكن أن نتحدث عن قرية أو منطقة أو بلد مهمّش مثلاً، ويمكن أن نتحدّث عن فئات مُهمّشة في مكان مُحدّد، وتهميش المكان قد يرتبط بتهميش فئات اجتماعية مُحدَّدَة".

لكن لماذا نفضل كلمة التهميش عن كلمتي الاستبعاد والإقصاء؟

وفي إطار محاولة التفرقة بين مفهومي "التَّهمِيش والاستبعاد"، أكَّدت الباحثة "مي مجيب عبد المنعم"[33] في رسالة دكتوراه بعنوان: (سياسات التضمين والتهميش... دراسة الحالة المصرية 1991– 2008)، وركزَّت فيها على المسألة القبطية، أكّدت أن مفهوم "التهميش" هو مفهوم أوسع من الاستبعاد، حيث عرَّفت "التهميش" بأنه: "عملية الاستبعاد من المشاركة الفعَّالة في المجتمع، إلا أنها في الوقت ذاته قد أشارت إلى التهميش كمفهوم يرتبط عند البعض بظاهرة الفقر، ويرتبط عند البعض الآخر بفكرة انعدام الفاعلية، وغياب الدور والمشاركة الفاعلة في المجتمع".

أما الاستبعاد كمفهوم، فهو ظاهرة خطيرة، نظراً لكونه يمس مختلف أطياف المجتمع، ويؤثر في مدى اندماجهم فيه، ولكنه أيضا "ثقافة" قد تُمثل عاملاً مساعداً لظهور التفاعلات ذات الطابع العنيف والمُمَنْهج. ولهذا تبنت دراستها تعريف الاستبعاد بأنه: تمييز ضد بعض الأفراد أو الجماعات في المجالات السياسية أو الاقتصادية/ الاجتماعية، مما يُؤثر في وضع هؤلاء الأفراد والجماعات داخل هيكل القوة المجتمعية"[34].

وهنا يعني حسب الباحثة المصرية إشارة إلى الخلل في المجتمع المصري ويتطلب إنهاء التفريق بين المواطنين، بسبب أحوالهم العِقَدية. وهو خطاب يتسم بضرورة مراجعة التنظيرات الاجتماعية والسياسية والبحث مع التركيز على سياسات الهوية والتنظير لها وفق تصورات جديدة...

غير أن من يبحث في إبستمولوجية المفاهيم والتهميش الاجتماعي أحدها وأكثرها تداولا وخُلْفًا إلا أنه لا ينال عناية الباحثين في طبيعته اللغوية. لقد يتناسى بعض المنظرين من أن اللغة هي "منظومة System"من "الدلالات Signs" التي تنشأ معانيها من علاقاتها للاختلاف. أي أن اللغة قوة اجتماعية ناشطة لها من القدرة على تحديد كل من العقل والعالم، ذاك ما يوحي بالباحث لأن يختار بين المفاهيم حتى وإن اقتربت معانيها ومقاصدها من بعضها البعض.

وعليه؛ فمن يفضل استخدام هذا المصطلح "التهميش الاجتماعي" لا بد من أن يبرر بقوة تفضيله على غيره من المفاهيم معللا ذلك بالأسباب الكامنة والظاهرة في استخدامه دون سواه. فقد سبق لـ "جاك دريدا[35] Jacques Derrida " المنظر الكبير لما بعد الحداثة، في المسار الذي يرى فيه أن "اللغة تخلق المعاني، وتشكل الحياة الاجتماعية بما فيها اللامساواة الاجتماعية.

ولذلك نروم استخدام مصطلح "التهميش الاجتماعي" للأسباب التالية:

1- لأن فعل "همش" مصدره "تهميش" وفيه تدخل لفكرة وموقف وسلوك الإنسان تفعيلا لإرادته في ضبط هذه الصورة من البؤس والفقر المدقع لدى نظرائه من البشر. فالمتسلط عموما يقوم بتحجيم سلوك الناس وحرمانهم من أبسط حقوقهم في الحياة والوجود عموما.

2- تشع ظاهرة "التهميش" من فعل التنافس الاجتماعي على الثروة والقوة والذي يعد أحد أشكال التفاعل الذي يتضمن المثابرة والتدافع والتموقع من أجل احتلال المراكز الاجتماعية المحدودة ومن ثم الفوز بالثروة والقوة. وأن العدد المتنافس عندئذ يدخل في سباق مع نظرائه ليجتاز الامتحانات وعبر ما يفرضه النظام الاجتماعي من قيود قاسية ولا يخلو في الغالب من صراع اجتماعي.

3- غالبا ما تؤدي شدة الصراع بين المتنافسين على القوة والثروة إلى اتجاه يحتم على متخذيه إلحاق الضرر بأشكال مختلفة منها ما هو سلمي من قبيل إزاحة جماعة أو فئة أو شريحة أو مجتمعا محليا أو منطقة من المسار التنموي وبصرف النظر عن أحوالهم أو قد يتخذ شكل الهجوم والدفاع عبر أساليب العدوان المخطط عبر الإزالة أو الاستئصال البيولوجي وارتكاب مجازر في حق الإنسانية.

4- رغم الضبابية في التمييز الدقيق لمفهوم التهميش الاجتماعي عن الاستبعاد فإن المصطلح الأول يعد الأكثر شيوعا ورواجا في المجتمع الجزائري الذي يفيد الانعزال وعدم الاندماج في داخل المجتمع والمشاركة في مختلف الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية السائدة في المجتمع الجزائري. في حين يبدو المصطلح الثاني (الاستبعاد الاجتماعي) هو الأكثر شيوعا في الغرب خاصة في المناطق ذات التنوع العرقي والطائفي والطبقي والديني والتي فشلت في استيعاب كل تلك الطوائف على اختلافها وتباينها، مثلا في فلسطين يحاول المستوطنون الإسرائيليون كل يوم استبعاد الفلسطينيين عن أراضيهم، كما أنه في العراق نجد بعض الأحزاب من المذهبين السني والشيعي تحاول استبعاد بعضها البعض أو تهميش الأقليات الأخرى من العمل السياسي وحرمانها من التمتع بحقوقها في الدولة وإرساء أسسها التي لا تزول بزوال الرجال.

خامسا: تصور الإطار النظري لفهم التهميش الاجتماعي وبناء العلاقات:

عند التفكير في مصطلح التهميش الاجتماعي على الباحث أن يحصر تصوره في تخصص علم الاجتماع ولكن يتوجب عليه أن ينفتح على غيره من العلوم ذات العلاقة.

إجمالا! يمكن تصور أنموذج يمكن من خلاله عرض إطار عام لفهم التهميش والمهمّش اجتماعيا في المجتمع الجزائري عبر:

1- بذل محاولة جادة في ضبط أهم الأسباب ومنها:

أ- موطن إقامة المهمّش اجتماعيا.

ب- أسباب قاهرة حملته على ألا يشارك بقوة في الحياة الرئيسية للمجتمع المحلي.

جـ- أن يكون راغبا ويتطلع إلى المشاركة بفعالية.

2- توجد علاقات بَيْنِية لمختلف الأشكال أو المظاهر المختلفة للتهميش الاجتماعي.

3- يتيح إمكانية القيام بالتحليل الدينامي.

4- له القابلية على التطبيق ميدانيا على مختلف المستويات/ الفرد/الجماعة/المجتمع المحلي/المجتمع الوطني/ المجتمع الدولي.

5- يسهل تطبيقه على المجتمعات والأنظمة الاجتماعية المشابهة. ويمكن تصور ذلك عبر المخطط الآتي:

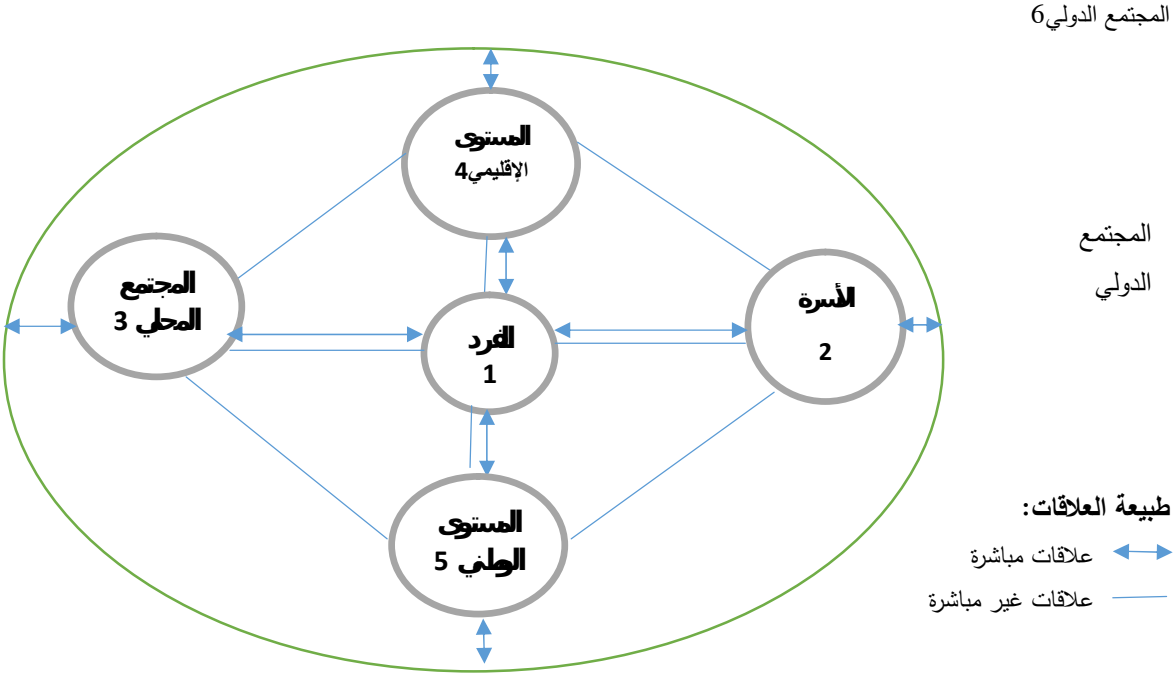

1- الفرد: خلفيته الاجتماعية والثقافية (النوع، السن، الصحة، المعتقد، القيم...)

2- الأسرة: مؤسسة الزواج (إنتاج أطفال، مسؤوليات الرعاية الاجتماعية...)

3- المجتمع المحلي: بنية تحتية داعمة للحياة الاجتماعية (مدارس، مستشفيات...)

4- المستوى الإقليمي: سوق العمل، وسائل الاتصال المختلفة...

5- المستوى الوطني: مؤثرات ثقافية، ضمان اجتماعي، قوانين التنمية...

6- المجتمع الدولي: تجارة دولية، هجرة، بيئة، مناخ...

فالفرد هنا يتأثر بوراثته وصحته وبيئته الطبيعية والاجتماعية والثقافية، فهو جزء من أسرة أو مجموعة أسر (عائلة ممتدة) وأوضاعه بدءا من المسكن والتعليم والتدريب والفقر والحرمان... وما تتيحه له البنية الاجتماعية من

وسائل مادية ومالية ورمزية وحقوقية وما ينشأ بينها من ارتباطات مع كل من المجتمع المحلي والإقليمي والوطني والدولي.وتكون جميعها لها تأثيرات قد تزداد أو تضعف بسبب أوضاع مجتمعه في التقسيم الدولي للعمل من جهة، ومدى وضعه الإقليمي بين المجتمعات المجاورة أو حتى البعيدة من حيث العداء والصداقة...

لكن هذا يعني:

1- وجود مؤثرات خارجية والتي هي عبارة عن قيود مفروضة تواجه الفرد أو المجتمع المحلي.

2- وجود مؤثرات داخلية والتي تتعلق أساسا بتفضيلات بل باختيارات الأفراد والمجتمعات المحلية في مواجهة صناع السياسات العامة أو الإدارة العامة. ذاك ما يفرض تحديات جمة للأفراد/الجماعات المهمّشة ومدى استجابة السلطات لمطالبهم المشروعة في الحياة الكريمة.

أثر المفهوم على الحقلين العلمي والعملي:

على الرغم من وجاهة هذه الإشكالات النظرية التي يثيرها هذا المفهوم (التهميش الاجتماعي) إلا أنه يقدم بعض الإسهامات الإيجابية في دراسة المشكلات الاجتماعية ضبطا للسياسات العامة المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والتضامن الوطني والتماسك الاجتماعي وإدارة التنمية بشكل عام يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- وجه أنظار الباحثين والدارسين الذين اعتنوا بظاهرتي التخلف والفقر أكثر مما يجب والتي كانت قد اعتمدت على آليات للتقييم والتفسير وصممت بشأنها سياسات للتخفيف من الفقر وتحجيم التخلف فصنعت سياسات عامة وطورت إدارة بعدما شعرت الحكومات بواجباتها الاجتماعية اتجاه مواطنيها وخلقت وظائف جديدة باتجاه آليات جديدة قابلة للتطبيق للحد من انتشار التهميش الاجتماعي.ووضعت تحت تصرف المهمّشين أجهزة حكومية تجمع معلومات عن كل شواهد ومظاهر التهميش وبشراكة مع المعنيين أنفسهم لدعم أجهزة الرقابة وأساليب الشفافية والعلانية لدى مكاتب الرعاية الاجتماعية؛ أي خلق شبكة سياسات ترصد طبيعة العلاقات بين هذه الجماعات ومجتمع التهميش.

2- إن مفهوم "التهميش الاجتماعي" يضم ويقترب كثيرا ويبتعد قليلا من مفاهيم أخرى كالاستبعاد والإقصاء والحرمان وغيرها مما يجعل الباحث من العسير عليه الكلام عن سبب مفرد للتهميش الاجتماعي ولكن هذا المفهوم هو بمثابة مظلة تسمح للباحث بالتعامل مع الظاهرة موضوع البحث من جوانبها السوسيولوجية والاقتصادية والصحية والحيّزية ومن جوانبها السياسية والإدارية ويتيح للباحث فرصة الانتقال بحرية عبر مستويات التحليل المختلفة (الفرد، الأسرة، المجتمع المحلي، المستويين الإقليمي والوطني وكذلك المستوى الدولي) والتي جميعها لها علاقة ما بهذه الظاهرة دون الخروج عن إطارها النظري الأساسي.

3- يجمع هذا المفهوم بين عدة تخصصات معرفية وهو ما يساعد على تحقيق التداخل والتكامل فيما بينها. فهو موضوع يتعلق بعقائد الأمم وأيديولوجيات أحزابها والإدارة العامة والسياسات العامة والحكومات المقاربة له واهتمامات هذه الحكومات بالنواحي الاجتماعية أكثر من اهتماماتها بالنواحي الثقافية.

4- يعمل هذا المفهوم "التهميش الاجتماعي" على زيادة الوعي لدى المقهورين والمستضعفين في المجتمع الوطني والدولي على تقديم أفكار وطرق وأساليب للمشاركة عبر مدى استعدادهم لقبول رعاية اجتماعية أو الحصول على عمل ولو بأجور متدنية أو زيادة الجرأة لدى الحكومات بالمشاركة في إعداد أوراق للمطالبة بنظام دولي اقتصادي جديد...

باختصار؛ لا يختلف مفهوم التهميش الاجتماعي عن غيره من المفاهيم الأخرى النظرية بل هو منظار لبؤرة فكرية يرى من خلالها الواقع ويتحسسه. وهو ما يساعد الباحث كثيرا على فهم الظاهرة بطريقة لا لبس فيها والتعامل معها بكفاءة عالية.

بناء العلاقات:

إذا كانت "المفاهيم" هي المسامير التي يثبت بها الباحث لوحات موضوعاته وهي على أهميتها تكاد تكون منقوصة ما لم تربط بمصطلح "العلاقات" التي أثيرت في هذه الدراسة وتم التخمين بوجود عدد من العلاقات التي تجعل قطاعا هاما من الناس في مجتمع أو منطقة أو دولة ما يعيش حالات الحرمان الاجتماعي من خلال الإجابة عن بعض الأسئلة الهامة التي يجب طرحها:

– هل توجد علاقة بين الشخصية/الأسرة/المدرسة/ الجامعة/المجتمع/ السياسة/ الثقافة في إشاعة ظاهرة التهميش الاجتماعي؟

– ما هي الكيفية التي من خلالها يقاس هذا التأثير؟

ما هو دور العلاقات في طريقة البحث والتحري عن التهميش الاجتماعي؟

فالعلاقة هنا لا تعدو في جوهرها أن تكون: "صلة" لأن لها تأثير متبادل بين معلومين أو أكثر[36].

"ووفقا لهذا التعريف تشكل العلاقات صلب القانون العلمي الذي ينبني على وجود علاقة ما بين متغيرين أحدهما ثابت والآخر تابع، أو بين سبب (أسباب) ونتيجة. غير أن البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية يتطلب وجود "عَلاقة" (بفتح العين) لأنه يميل أكثر إلى التعامل بالمعاني (الكلمات) وهي عملته المفضلة، في حين أن العلوم التجريبية وشبه التجريبية تكون متغيراتها (السبب–النتيجة) ذات عِلاقة (بكسر العين) لأنها تخضع بل وتوجد في المحسوس مما يقع عليه النظر ويلمس[37]."

وتدور معظم الدراسات المتعلقة بالمستبعدين Les Exclus عموما حول أولئك العجزة والشباب والصغار والبطالين والمتسكعين والمتمردين... الذين أخرجوا من الدورة الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية. وهذا يعني أن من نال عناية الباحثين في هذا الموضوع هو اكتشافهم لعلاقة موجودة بين شيئين أو أكثر. فالعاجز صحيا والشباب والصغير غير المؤهل والمشرد والمعزول اجتماعيا والمتمرد على السلطات الوالدية أو الرسمية... هم جميعا نتاج ثمرة ملاحظة لمشاكل التنمية من وجهة نظر التنمية الاجتماعية أو البشرية والثقافية والسياسية خاصة في مجتمع ما[38]. وبذلك تعد مساهمات فكرية تركز على العلاقات الملاحظة وتثبت وجودها بين الوضع الاجتماعي للمستبعد/ المهمّش ووضعه الاقتصادي من جهة، وبين قيمته واتجاهاته من جهة أخرى، فهؤلاء المستبعدون/ المقصون /المهمّشون/المحرومون/ الفقراء ما هم إلاّ بشر لديهم قيم واتجاهات ونزعات وعقائد تعمل دوما على تحفيزهم حتى وإن ركدت أو تجمدت، فلا أحد من الناس لا يستنهض قواه وتفعل ثقافته كرواسب لإيقاظه يوما ما.

وهناك نوعان من العلاقات في دراسة المفاهيم التي تم ذكرها في هذا الجزء، إذ توجد لدينا:

1- علاقات التماثل: سبقت معالجة بعض المصطلحات كالتهميش أو الإقصاء أو الاستبعاد الاجتماعي كمحاولة جادة لاكتشاف التماثل القائم بينها. فما هي أوجه الشبه فيما بينها؟

2- علاقات الاختلاف: من خلال ما تم عرضه في بنية هذه المفاهيم لاحظنا فروقًا هامة في اللغات الأوروبية أو العربية فكلمة "Exclusion" مثلا هي مشتركة في اللغات الأنجليزية والفرنسية والألمانية (Exklusion). غير أن من ينطقها نراها تتعرض للكنته. كما أن لهذا المفهوم صدى خاصا "أيديولوجيا" ضاربا أطنابه في التراث الجمهوري الفرنسي أو الإمبراطوري أو الوحدوي الأنجليزي والألماني تباعا. كما أن لغتنا العربية تعبر عن التهميش بالاستبعاد تارة والإقصاء والحرمان والإزاحة والإزالة وغيرها تارة أخرى. ومن هنا تبرز قوة القدرة على التمييز بين الأشياء المتشابهة في بعض النواحي المختلفة في نواح أخرى.

باختصار؛ يمكن عند هذا الحد من التحليل والاستدلال والاستقراء فهم "مصطلح" التهميش ويتجلى في نظرة الباحث/الدارس عن وجود عناصر متشابهة أو مختلفة أو حتى خلافية إذا تعلق الأمر بنظريات محددة.

وعليه فمن الواجب تخصيص جزء من هذا البعد للفروق بينهما سواء تعلق الأمر بالمفاهيم أو النظريات أو على مستوى الدراسة الميدانية. يبدو لنا أي بحث مهما كانت طبيعته واختلف شكله وتنوعت مادة معرفته يستند دوما على بناء المفاهيم وبناء العلاقات فيما بينها.

خلاصـة

يمكن القول أن موضوع "التهميش الاجتماعي" يثار أثناء الحديث عن السياسات الاجتماعية، ويمثل امتدادا حقيقيا للمفاهيم المرتبطة به (الفقر، الحرمان، الإقصاء، الانعزال، الاستبعاد...) كون دراسات الفقر ترتكز على نقص المواد المتاحة للفقراء وبالتحديد على ضعف الدخل وانعدامه، في حين تتسع دراسات الحرمان لتشمل مؤشرات أخرى تحدد عدم مشاركة المحرومين في مختلف الأنشطة الاجتماعية. غير أن التهميش الاجتماعي يعد تعبيرا عن حالات أكثر شدة من الفقر والاستغلال، فهناك من ينظر إلى المهمّشين اجتماعيا على أنهم أفقر الفقراء دون كرامة موفورة. فالعلماء ينظرون إلى مصطلح "التهميش الاجتماعي" بأنه مفهوم يتسع لأكثر من معنى ليشمل الحرمان والفقر وعدم المساواة وغياب العدالة الاجتماعية، ويحتجون في ذلك على أن مفهوم عدم المساواة يهتم بمواقع الأفراد القائمة على أساس فوق أو تحت السلم الاجتماعي بينما ينظر مفهوم التهميش إلى شكل هندسي (داخل أو خارج) بغض النظر عن شكله الدائري أو الهرمي.

فالفرق قائم بين المفاهيم المتصلة بالتهميش الاجتماعي كونها تتبع في اتساع نطاق كل مفهوم مقارنة بالمفهوم السابق له. غير أنها تشترك في غياب مشاركة الفرد في المجتمع (دون اختياره). فمن الفقر إلى الحرمان إلى التهميش الاجتماعي.

الهوامش:

1- للمزيد راجع: جون هيلز وآخرون، ترجمة محمد الجوهري، "**الاستبعاد الاجتماعي**"، عالم المعرفة، الكويت 2007.

2- Harrey, David: The New Imperialism Oxford University Press, New York U.S.A, 2003.

3- See: Bochneke, P: How to Measure «Inside» Outside Index – Construction on Social Exclusion' Proceedings of the Fifth International conference on logic and Methodology, Cologne, Germany, 2000.

4– للمزيد راجع: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت لبنان، 1994، المجلد الثالث، ط3، أنظر: هامش.

5-See: Castells, Manual: The Information Economus, Society and culture 3 Vols, Blackwell Publication (1996-1981).

6-See: Frantz; F: Les Damnés de la Terre, Maspero, Paris, France, 1968.

7- دوقما Dogma حقائق مطلقة يجب التسليم بها وأن العقل البشري لا يمتلك الحقيقة النهائية.

8- انظر حامد البشير ابراهيم: التهميش في السودان بموقع الانترنيت يوم 2014/10/27 الساعة 17:05.
http://www.sudaneseonline.com/ar/article_12450.shtml

9- الحقرة: كلمة مشتقة من فعل احتقر، احتقار للدلالة على التجاهل وعدم الاكتراث من مواطنيها، يكثر تداولها بين الناس المستائين من أحوالهم الاجتماعية وفتور السلطات وتجاهل مطالبهم في التمتع بحياة كريمة موفورة. وهو ما يعرف في أدبيات الفلسفة السياسية بـ"مجتمع الاحتقار" Société de Mépris.

10- انظر: جوردن مارشال: ترجمة المجلس الأعلى للثقافة، "موسوعة علم الاجتماع"، المجلد الأول، القاهرة ج.م.ع 1998.

11- انظر: جون هيلز وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 26.

12- حبيب العايب، الباحث التونسيّ في مجال الجغرافيا الاجتماعية والسّياسيّة، ويعمل بمركز الدّراسات الاجتماعية بالجامعة الأمريكيّة، القاهرة.

13- انظر: عادل إبراهيم شالوكا، صحيفة الراكوبة بالسودان حول مفهوم التهميش وأشكاله يوم 2014/10/27 الساعة 15:35
http://www.alrakoba.net/articles-action-show-id-23330.html.

14- ابن منظور، مرجع سبق ذكره، أنظر مادة: استبعاد.

15– انظر: جون هيلز وجوليان لوغران ودفيدبياسو، المرجع نفسه، ص 24.

16- Voir: Paul Robert: Le Robert, Dictionnaire de la Langue Française, Canada, 1992: voir "Exclure"

17- Giddens, Antony: The Consequences of Modernity Stanford, CAStanfond University Press, U.S.A, 1990.

18- ابن منظور، مرجع سبق ذكره، انظر مادة: إقصاء.

19- انظر: جوردون مارشال، ترجمة مجموعة من الأساتذة المصريين: موسوعة علم الاجتماع، المجلس الأعلى للثقافة، 2001، ط1، ص 647.

20- See: Lipton, M: Why Poor People Stay Poor? A Study of Urban Bias. In World Development. Maurice Temple Smith. London. U. K (1977).

21- انظر: بلقاسم سلاطنية وسامية حميدي: العنف والفقر في المجتمع الجزائري، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، دون سنة، ص 75.

22- انظر: جان فرانسو دورتيه، ترجمة جورج كتوه، معجم العلوم الإنسانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2009، ط1، ص 824.

23- للمزيد: انظر: كريم محمد حمزة وآخرون، مرجع سبق ذكره، الصفحات 67–74.

24- كريم محمد حمزة وآخرون: الفقر والغنى في الوطن العربي، بيت الحكمة العراق بغداد، 2002، ط1، ص 69.

25- HPI يقابلها Human Poverty Index وتفيد: مؤشر الفقر البشري.

26- الموسوعة الحرة –من ويكيبيديا– تم الاطلاع عليها يوم 2014/10/29 الساعة 17:51 بموقع الأنترنت:
http://ar.wikipedia.org/

27- باحثون ومبدعون أردنيون يدرسون إشكاليات الثقافة الهامشية في ندوة نظمتها جامعة فيلادليفا 2005عمان، من موقع أنترنت: www.addustour.com يوم 2015/1/17 الساعة 19:07.

28- ابن منظور، مرجع سبق ذكره، أنظر مادة: مركز.

29- صورية جيجخ: اشكالية المركز والهامش في الأدب، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة منقول عن موقع أنترنت: http://dspace.univ-biskra.dz:8080/jspui/handle/123456789/3586 يوم 2015/01/17 **على الساعة** 19:10.

30- ابن منظور، مرجع سبق ذكره، انظر مادة: هامش.

31- بركات محمد أرزقي: الثقافة الهامشية وأثرها على الانحراف، رسالة (غير منشورة) لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس الإكلينيكي، جامعة الجزائر 1988–1989، ص 27.

32- ما جاء في تحليل عادل إبراهيم شالوكا، مرجع سبق ذكره.

33- الباحثة الدكتورة مي مجيب عبد المنعم لها رسالة دكتوراه بعنوان: "سياسات التضمين والتهميش دراسة الحالة المصرية 1991-2008 " بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة 2011، ركزت فيها الباحثة على المسألة القبطية بمصر. وقد نشرت الطبعة الأولى عام 2012 على شكل كتاب بعنوان الأقباط ومطالبهم بين التضمين والاستبعاد صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية، وقد سعت الباحثة إلى الإجابة على أسئلة محورية: ماهي العلاقة بين سياسات التضمين والتهميش وطبيعة النظام السياسي المصري؟ وما هي العوامل الوسيطية التي تؤثر في نوعية هذه السياسات؟.

34- انظر عادل ابراهيم شالوكا، مرجع سابق.

35 -See: Derrida, Jacques: Writing and Difference. Chicago Press, (1978), U.S.A, p 158.

36- فاخر عقل: معجم علم النفس، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1977، انظر مادة: علاقة.

37- انظر: فاخر عقل، المرجع نفسه.

38- غالبا ما يستعين الدارس بدراسات قاربت مثلا موضوع التهميش الاجتماعي في مجتمعات عربية أو غربية للمقارنة واستخلاص مناهج البحث فيها ونتائجها. للمزيد راجع: إسماعيل قيرة: أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية، مخبر الإنسان والمدينة، جامعة منتوري قسنطينة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، دون سنة.